



فني

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

www.almadasupplements.com

العدد (5445) السنة العشرون - الاربعا (7) حزيران 2023

منازل

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

m a n a r a t



هدى شعراوي

هدى شعراوي وريادة التاريخ النسوي

د. نادية هناوي

د

تتأتى أهمية كتابة المذكرات من أهمية الذاكرة نفسها بوصفها مصدراً مهماً من مصادر التوثيق والتأريخ. أما اللغة فتؤدي دورها الوسيط في عمل هذه الذاكرة إذ بها تخزن الأقوال التي تدل على ذكريات السنين محافظة عليها من النسيان. والفعل الذاكراتي نوعان نمطي معتاد ورمزي غير معتاد؛ فأما الأول فيمثلته تذكرونا الأسماء والعناوين وأرقام العواتف واللقاءات التي نحفظها عن ظهر قلب، وأما الثاني فيمثلته تذكرونا المرء العالم الذي به تصبح ذاكرته متعلمة مدموعة بإعادة إنتاج الماضي.

د

والخوف من النسيان هو أحد دوافع تدوين الذكريات، والبحث عن ذكرى يعني النضال ضد النسيان وإطلاق الذكريات يعني إنقاذها من براثن النسيان. وهو ما يدخل في باب ما يسميه بول ريكور (فيلسوف لوجيا الذاكرة). وكتابة المرأة لمذكراتها أداة مهمة في أرشفة تاريخها النسوي، ممارسة دور المؤرخ الذي حرمت من أدائه على طول التاريخ البشري. وهو ما مارسه هدى شعراوي في كتابة سيرة حياتها فجمعت بين الفعل الذاكراتي المعتاد والفعل الذاكراتي الرمزي، مازجة معهما اليوميات والاعتراقات والسيرة بأسلوب سردي مشوق منتقبة من ذاكرتها أحداثاً وصوراً ترسخت ولم يطلها النسيان ووسمتها بأنها (مذكرات) لتكون الرائدة في كتابة هذا اللون من السرد التاريخي.

ولأن هدى شعراوي حياة حافلة بالعطاء النسوي، تركت صورة مشرقة للمرأة العربية المضحية من أجل بنات جنسها. وهي وإن تمتعت برخاء العيش وترف الحياة؛ إلا أن ذلك لم يمنعه من أن تقف في صف العموم النسوي المضطهد بحجب التحريم والوصاية.

ولم يكن مشوار هدى شعراوي ممهداً وهي تسير في دروب شائكة لم تطأها قلبها امرأة على صعيد وطنها مصر أو على صعيد العالم العربي وربما الشرقي، متطلعة واثقة أن هناك غداً قريباً، فيه سيحقق للمرأة المصرية والعربية التحرر وسنحظى بالتعليم مغادرة الهامشية ومواجهة الإقصاء.

ولا يخفى ما في كتابة مذكراتها من شجاعة هي بمثابة بادرة من بوادر النهضة النسوية في العصر الحديث، فيها سردت سيرة حياتها بضمير المتكلم وبجراحة واضحة في المكاشفة والمواجهة مع علمها بخطورة هذه المواجهة لا من ناحية كشف المخبوء وإمالة اللثام عن المستور حسب، وإنما من ناحية الخوف من الذاكرة نفسها حين تغفر أو تنسى أو تسترسل أيضاً.

وقد افتتحت شعراوي مذكراتها باسترجاع طفولتها وذكرياتها مع والدها الذي فقدته وهي في الخامسة من عمرها لكنها شعرت أن الذاكرة تخونها وأنها تنسى كثيراً من الأحداث ولا تمتلك عن أبيها. الذي أرادت الدفاع عنه. أخباراً أكيدة لذلك استعانت بالأقرباء والإصدقاء العارفين بأحوال أسرته وأسرار والدها، فمُنِّدته التهم التي وجهت إليه. واهتمامها بتدوين الاستشهادات الشفوية سواء التي

لها أو لغيرها وكذلك عنايتها بإدخال الكتب الرسمية والمقالات المنشورة والبيانات الحزبية هو الذي جعل ذاكرتها ذاكرة مؤرشفة، فيها الفعل الذاكراتي يجمع بين الأرشيف والشهادة بوصف الأرشيف كتابة مقروءة، تخزن في التاريخ كمحفوظات ورقية وهو ما يقوم به المؤرخ المحترف بينما الشهادة شفوية في الأصل أي أننا نصغي إليها ونسمعها في لحظة الدخول في كتابة التاريخ.

ولا يعني هذا أن هدى شعراوي استعملت التوثيق كغاية بحد ذاتها؛ وإنما هو وسيلة بها سعت إلى إنصاف والدها محتجة بالكتب والمقالات والشهادات الشفاهية لتدعم ردودها على المزاعم التي شككت بزاهة أبيها وللبحث أيضاً عن المسؤول الأول الذي خاطر بمستقبل البلاد ومدى حقيقة الثورة العرابية. ولعلها بعملها هذا قد صحت جانباً من جوانب التاريخ الحديث.

ومن ذكرياتها التي بها دلت على وعيها النسوي ما دونته عن التربية العربية التي تفضل الذكور على الإناث وكيف كان هذا التفضيل يترك آثاراً نفسية كبيرة عليها كجزء من الوصاية الذكورية التي جعلت المرأة منحازة للرجل بشكل غير واع مؤيدة سطوته عليها. وليس غريباً أن يأتي هذا التفضيل من النساء أنفسهن والدتها وزوجة أبيها التي كانت تسميها الأم الكبيرة وكذلك جدتها وغيرهن من اللواتي كن يشعرن أنها أن الأنتى أقل من الذكر.

ولا تخلو مذكراتها من بعض الحكايات التي تسردها أما لتوعية المرأة بها ولتكون على دراية بما حولها كحكاية النسوة اللواتي يدرن على البيوت وهن يحملن بضاعتهم على رؤوسهن، أو تسرد هذه الحكايات لأجل التذليل على واقع مأساوي عاشته هي وتعيشه معها كل امرأة تتزوج وهي في الثالثة عشرة من عمرها ويكون زوجها رجلاً متزوجاً من امرأة أخرى وله منها أولاد وبنات.

وقد عبرت هدى شعراوي عن هذه المأساة بأسلوب

شاعري عكس عمق الشرح النفسي الذي يخلفه الزواج المبكر وتعدد الزوجات في كيان المرأة العربية.

ولهدى شعراوي آراء تربوية متقدمة، تعتمد فيها على خبرتها الشخصية، وبعضها تنطوي على أبعاد حضارية سابقة لعصرها، منها رأيها في أهمية مخالطة البنين للبنات في المدارس، وبعد أن تأقلمت مع حياتها الزوجية ورضخت للأمر الواقع انصرفت بكليتها إلى تربية ولديها وابتعدت عن الحياة العامة إلى العام ١٨٩٥ الذي فيه نشبت الحرب بين تركيا واليونان الأمر الذي أوجب على المصريين مساعدة الأتراك فنشطت الحياة السياسية، واستغلت هدى شعراوي الاحتدام السياسي فخرجت إلى الحياة العامة لتبدأ مرحلة جديدة في رحلة جهادها النسوي السياسي المنظم، مفيدة من مكانة زوجها علي الشعراوي في حزب الوفد، ومثأثرة بدعوات قاسم أمين في كتابه "تحرير المرأة" الذي تعده حجر الأساس في بناء النهضة النسوية العربية. وكان أول عمل لها هو سعيها مع بعض النسوة الارستقراطيات المتعلمات نحو تشكيل جمعية لرعاية الأطفال ورابطة أدبية.

ومن أهم الذكريات التي أثرت في مسيرتها لقاؤها بمارجريت كليمان أول باحثة تلقي محاضرة عن المرأة الشرقية والغربية في مسألة الحجاب على جمع من السيدات في الجامعة المصرية. ولأن بعض الذكريات مسجلة لديها في دفتر يومياتها لذا تعمدت إدرجها في مذكراتها، وتبرر الدمج بأن ما يكتبه الإنسان من وحى اللحظة يكون له وقع آخر مختلف عما يدونه من ذكرياته فيما بعد. وتتحدث في يومياتها أيضاً عن الثورة والحرب وتبرع النسوة بحليهن واعتقال سعد زغلول واشتغالها بالحركة الوطنية عام ١٩١٩ وهو العام الذي شهد أول مظاهرات للسيدات ضد الإنكليز. وفي عام ١٩٢٠ راسمت هدى شعراوي لجنة الوفد للسيدات والتقت بسعد زغلول الذي كان آنذاك بمنصب رئيس الوزراء وخطبت الأثرز ومجلس النواب والصحافة والرأي العام.

ولعل الجزء الأكبر من مذكرات هدى شعراوي هو عبارة

عن وثائق مكونة من بيانات مدنية ومقالات صحفية وجواريات ومناقشات مع سلامة موسى في جريدة "الأهرام" وجريدة "التاج المصري"، وكتب رسمية وخطابات سياسية كانت تلقياها في مؤتمرات دولية منها خطبتها في مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي في روما عام ١٩٢٢ وبعد عودتها إلى مصر قررت تأسيس الاتحاد النسائي المصري وكانت معها نبوية موسى وكان هدفها من إنشاء الاتحاد المناداة بحقوق المرأة وأهمها المساواة بين الجنسين في التعليم وفتح أبواب التعليم العالي وسن قوانين تنظيم العلاقة الزوجية وتعدد الزوجات والطلاق.

وعلى الرغم من أنها كانت فخورة بما أحرزته المرأة المصرية والعربية من تقدم لكنها في الوقت نفسه وجدته تقدماً بطيئاً جداً بالقياس إلى التقدم الذي تحرزه المرأة الغربية إذ أن ما تحققه هذه الأخيرة في عام لن تصل المرأة العربية إلى تحقيق مثله في جيل، علماً أن هدى شعراوي هي التي أكدت أن الحركة النسوية الأمريكية بدأت في تاريخ مواكب لتاريخ الحركة النسوية المصرية. وظلت على طول رحلة كفاحها النسوية حريصة على تأكيد حقيقة دامغة وهي أن المرأة نصف الخليقة البشرية.

إن جهود هدى شعراوي لم تكن مقصورة على الدفاع عن حقوق المرأة حسب، بل دافعت عن حقوق المظلومين من الفقراء والمهمشين بالعموم. وهو ما تؤكده كتابتها لمذكراتها كصورة متقدمة للنهضة النسوية وكدليل عملي على فاعلية المرأة المتعلمة وهي تؤدي دورها الثقافي بروح غيرية وبنزعة ذاتية فكانت هي المؤرخة التي وضعت من خلال ذكرياتها لبننة في معمار التاريخ النسوي، وهي القائدة التي راهنت بوعي تاريخي على مستقبل نسوي تتحقق فيه الأماني والتطلعات. وأهم تلك التطلعات أن يكون للتعليم دور أساس في النهضة النسوية، وبه وحده تفتح أمام المرأة أبواب الحياة العصرية ثقافة وفكراً وسياسة واقتصاداً واجتماعاً.

هدى شعراوي في فرنسا.. رحلة أسست للحركة النسوية المصرية

تيسير خلف



أثرت رحلة الرائدة النسوية المصرية هدى شعراوي إلى فرنسا في العام ١٩٠٩ فيها كثيراً، وجعلتها تبني خطاباً راديكالياً لتحرير المرأة المصرية والعربية بعد أن لمست عن كثب ذلك الفارق الحضاري الكبير بين الشرق والغرب. ورغم أن بعض الباحثين يرجعون نزعتها النسوية إلى مشكلات تتعلق بطفولتها وزواجها المبكر، إلا أن تلك الآراء لا يمكن وصفها بالآراء المنصفة، كونها تحاول أن ترجع تبني النزعة النسوية لدى رائدات ذلك الزمن إلى مشكلات شخصية، ونزعات مرضية.



وهدى شعراوي هي ابنة رئيس مجلس النواب المصري محمد سلطان باشا، ولدت في مدينة المنيا في العام ١٨٧٩، وتلقت تعليمها في منزل والدها، وزوّجت في الثالثة عشرة من عمرها لابن عمها علي باشا الشعراوي، والذي كان يكبرها بأربعين عاماً، ومنه حصلت على كنيته "الشعراوي" على نسق سيدات المجتمع المخملي في ذلك الوقت.

بعد عودتها من فرنسا في العام ١٩٠٩، أنشأت شعراوي مع الأميرة عين الحياة أحمد مبرة خيرية لعلاج فقراء المصريين، وأسست مجلة "الإحييسيان" باللغة الفرنسية، كما أنها أقيمت الجامعة المصرية بتخصيص قاعة للمحاضرات التي تُعرف بحقوق النساء، حيث كان لنشاط زوجها علي باشا السياسي، وانخراطه في ثورة ١٩١٩ إلى جانب الزعيم سعد زغلول، أثر كبير على نشاطاتها، فقامت بالاشتراك مع صديقة زغلول بتنظيم تظاهرات نسائية، وساهمت في تأسيس لجنة الوفد المركزية للسيدات وأشرفت عليها. وكان نضالها في تلك المرحلة منصبا على رفع السن الأدنى لزواج الفتيات إلى ١٦ عاماً، وللفتين إلى ١٨ عاماً، كما سعت لتقييد الطلاق من جانب الرجل، وكانت من أشد الداعيات لمشاركة المرأة في العمل السياسي وخروجها إلى سوق العمل، وربما هي أول مسلمة في الشرق تلحق النقاب بشكل علني آثار عليها نعمة المحافظين.

أسست هدى شعراوي أول اتحاد نسائي في مصر، كما كانت صاحبة الدعوة لأول مؤتمر نسائي عربي شاركت فيه وفود من مختلف الدول العربية آنذاك، حيث اعتبرت شعراوي ملهمة النسويات العربيات المسلمات، في وقت كانت النسويات العربيات المسيحيات قد قطعن شوطاً في هذا المضمار منذ نهايات القرن التاسع عشر.

في العام ١٩٣٨، تخلفت هدى شعراوي مؤتمراً نسائياً للدفاع عن فلسطين، شارك فيه عدد من المناضلات النسويات العربيات، على رأسهن المناضلة النسوية السورية نازك مصطفى العابد.

في صيف عام ١٩٠٩، سافرت هدى شعراوي إلى أوروبا للمرة الأولى، وكانت وجهتها فرنسا بناء على مشورة الأطباء للاستشفاء، وكان معها في هذه الرحلة شقيقها وزوجته وأولاده ووالدتها.



وتوسع شوراها وتنظيم ميادينها وتنسيق منتزهاتها وحسن هندام أهلها، وإنما أيضاً؛ لأن الإنسان يجد في كل خطوة فيها ما يغذي عقله ويوسع خياله وينمي مداركه وموابعه، هناك الجمال وحسن الذوق يتجلبان في كل شيء ويدفعان الإنسان إلى البحث عن معرفة أصله".

وتأخذ حركة باريس وحيويتها بلب هدى شعراوي، التي تبدو وكأنها مسحورة في ذلك العالم الذي لا يشبه إلا أجواء روايات ذلك الزمن ولوحاته، وفي ذلك تقول: "كان يكسب هذه الحركة العظيمة رونقاً وبهاء مرور العربات تحت قوس النصر الذي يقع وسط ميدان النجمة الجميل، وعلى جانبي الشارع، تتناثر الفنادق الكبيرة والمقاهي الأنيقة التي تعزف فيها الموسيقى والغاية بالجماهير، وعلى هذا الميدان، يطل فندق "برنيسيس أونيل" وهو من الفنادق العائلية الممتازة، وهو عبارة عن سراي قديمة بها غرف وأبواب واسعة منسقة تنسيقاً جميلاً ومفروشة بأثاث فاخر ورياش ثمين، وقد استأجرنا في هذا الفندق طبقاً مستقلاً بالاشتراك مع شقيقي، فكنّا نشعر في هذا المكان الهادئ أننا لسنا بعبيدين عن منازلنا. وقد خرجنا في اليوم التالي لوصولنا إلى باريس لمشاهدة بعض حوائثها الكبيرة والتوصية على ما يلزمنا من المحلات الشهيرة، وكم عجت عندما رأيت محلات الأزياء الكبرى تعرض الملابس على فتيات جميلات أنيقات، ولم يكن في هذا العرض مجرد الترويج في شراء الملابس، بل فيه دروس للمشتريّة تمكّنها من تمييز ما يلائم هذه الملابس من باقي اللوازم التي تحتاجها لتكملة أناقة الملبس، وكذلك تستطيع أن تنتقي الألوان المناسبة للون شعرها وبشرتها، وصادف في ذلك اليوم مهرجان الزهور في غابة بولونيا، فتصّفه لنا الرائدة النسوية المصرية بقولها: "كان طريق الأكاسيا غاصاً بالمتفرجين والمتفرجات من المشاة والجالسين على جانبي الطريق، وكانت عربات الزهور تهرم مكسوة بأنواع الأزهار المختلفة وأمامها وخلفها عربات تقل السيدات والرجال في أبهى زينة وأجمل ملبس. وكانوا يترشقون بالأزهار والورود تغمرهم البهجة ويرفرق عليهم السرور، بينما كان المشاة والواقفون يجمعون الأزهار التي تتساقط من العربات ويكونون منها باقات لأنفسهم يزينون بها منازلهم وغرفهم الصغيرة، فمن طابع الأوروبيين ميلهم الشديد للأزهار وتقديرهم لها وحُبهم فيها باعتبارها غذاء لأرواحهم، حتى إن معظم الفقراء لا يخلون على أنفسهم

بشراء بعض الأزهار يزينون بها بيوتهم أو يخلون بها صدورهم".

لا تخفي هدى شعراوي أن لشقيقها الدور الأكبر في تعريفها على باريس لقد تطوع شقيقي في أن يكون دليلنا مدة إقامتنا في باريس، فكان لنا خير دليل وأكبر معين؛ لأنه كان يعرف كل مرافقها وضواحيها ومنتزهاتها ودور التمثيل والفنون الجميلة والمتاحف والسرايات الملكية القديمة والتاريخية، وكان ذلك يرجع إلى ما يتحلى به من حسن الذوق وتقدير الأشياء حق قدرها، ولذلك كان وجوده معي يكسبها جمالاً في عيني فوق جمالها ويزيد من تقديري لها، وهو ما لم أعد أشعر به من بعده. وكنت أرتاح لوجودي بجانب شقيقي في الزيارات التي كنا نقوم بها في باريس، لاتفاق شعورنا وميولنا في تقديرنا للفن والعلم والجمال وتقارب أدواقنا، وأظن أنه هو أيضاً كان يشعر مثلي بكثير من الغبطة لمرافقتي له، وكنت شقت على زيارة تلك الأجزاء بدونه من بعده، وكنت فقت من رونقها في نظري كلما حاولت أن أستعيد الذكرى".

وتلقت رائدتنا النظر إلى طبيعة التربية والتعليم في فرنسا، تلك التربية التي يتلقاها الطفل قبل أن يدخل المدرسة حيث يشب الفرنسي في أية بيئة ملماً منذ نعومة أظفاره بتاريخ بلاده، قبل أن يدخل المدارس ويتعلم هذا التاريخ في الكتب، ولذلك تراه فضوراً بتاريخها المجيد، حريصاً على خلود هذا المجد، وليس هذا فحسب، بل ترى الشعب الفرنسي يطوف بكل القصور الأثرية والميادين التاريخية ودور الآثار والعلم والمتاحف الفنية والكنائس والمعابد التي فتحت له أبوابها في أيام العطلات".

لا يقتصر إعجابها بباريس على مظاهرها المبهجة فقط، بل يتعدى الإعجاب بشراستها أخلاق الرعاع فيها، والسبب أنها "لا تخلو من حفة الروح وتعبر عن شخصية لا تكلف فيها ولا في تغيير، فالفرنسيون أشخاص منقرون بعديرتهم، مستقلون في أفكارهم وطباعهم وأعمالهم وصفاتهم وحتى في عيوبهم، ولذلك تجدهم محافظين على شخصيتهم، فخورين بها، متباهين بحريتهم، متفانين في تقديسها".

ومع ذلك، لا تخفي هدى شعراوي تألمها من نتائج التطرف في تلك الحرية في بدء عهدها بزيارتها، إذ كانت تظن أن الصغير والكبير من كل طبقة في تلك الأمة على جانب عظيم من الرقة وحسن المعاملة، ولكنها رأت عكس ذلك، وتروي لنا هذه القصة للتدليل على كلامها: "عندما أردت لأول مرة زيارة أحد حوانيت باريس الكبرى في يوم حدد لتخفيض أسعار البضائع، وجدت على أبواب الحانوت زحاماً شديداً، فوقفت عند الباب لأمكن بعض الداخلين من المرور مجاملة كما هي عادتنا في بلاد الشرق، طانة أنه سيأتي دوري وأجد من بين الداخلين من يرد لي تلك المجاملة، ولكنني لاحظت للأسف أنه لم يشعر بوجودي أحد، ورايتني مدفوعة بشدة بين تلك الأمواج المتلاطمة من الأجسام البشرية، تتقاذفني موجة وتتلقاني أخرى بالكلم والسير على قدمي، فكانت تهتمر دموعي على خدي من هذا التسابق الرهيب، ثم وجدت نفسي أمام منضدة محوطة بالمتفرجين والمتفرجات وقد مدت يدي بلطف إلى قطعة من المقامش أعجبتني، ولكن سرعان ما اختلطتها من يدي إحدى المتفرجات بغلظة حتى كادت الدموع تفر من عيني مرة أخرى، ولكنني كتمت تأثري حتى لا يضحكوا أو يسخروا مني، وأخيراً خرجت من المحل بعد أن اتخذت من ذراعي مجدافين أستعين بهما على النجاة من تلك اللجج البشرية المتراصة".

وتعلق على ذلك بقولها: "مثل هذه الأشياء لم ترقني أول الأمر، ولكنني انتهيت منها إلى أن أفهم أن التزام في الحياة هو سبب نهضة تلك الأمم ونفوقها، وإن كان نكس مظهرها من مظاهر الأنانية، وأن تسامح الشرق ورقة شعوره هما سبب تأخره واضمحلاله، رغم ما في ذلك من نبل ودعة".

بعد شهر من الإقامة في باريس، تغادر هدى شعراوي وأنها إلى أحد المنتجعات الصحية للاستشفاء مما كانت تعانيه من اضطراب في الأوردة الدموية، وهو سبب قدومها إلى باريس أصلاً.

عن العربي الحديدي

هدى شعراوي تروي حكاية جمعية الإتحاد المصري النسائي



وقد ترتب على هذا الاجتماع؛ بدء تشكيل الإتحاد النسائي المصري، وقد جاء في القانون الأساسي لهذا الإتحاد ما يلي:

المادة الأولى: تأسست في شهر مارس ١٩٢٣ جمعية باسم الإتحاد النسائي المصري.

المادة الثانية: أغراض الجمعية هي رفع مستوى المرأة الأدبي والاجتماعي للوصول بها إلى حد يجعلها أهلاً للاشتراك مع الرجال في جميع الحقوق والواجبات.

المادة الثالثة: تسعى الجمعية بكل الوسائل المشروعة لتمتلك المرأة المصرية حقوقها السياسية والاجتماعية، وهذه الأغراض هي الأغراض نفسها التي تسعى في تحقيقها جمعية الإتحاد النسائي المصري أن تكون ممثلة لها في مصر.

المادة الرابعة: تمثل هذه الهيئة جمعية عمومية ومجلس إدارة.

المادة الخامسة: تتألف الجمعية العمومية من أعضاء مشتركات وأعضاء مراسلات.

المادة السادسة: يتألف مجلس الإدارة من عشرين عضواً ينتخبون بواسطة الجمعية العمومية ومن بين أعضائها المشتركات.

وبعد ذلك تأتي المواد الإدارية والتنظيمية.

مؤتمر روما

ونعود بعد ذلك إلى اشتراكنا في المؤتمر الدولي الذي عقد في روما في مارس ١٩٢٣، فعندما وصلنا إلى روما، وجدناها تغص بمندوبات الدول الست والثلاثين التي اشتركت في هذا المؤتمر، وكانت كل دولة قد أوفدت أكثر من عشرين مندوبة عدا الصحافيات والصحافيين والوفادات لمشاهدة المؤتمر.

وأذكر بهذه المناسبة أننا عندما ذهبنا إلى المؤتمر، وجدنا أعلام الدول ترفرف في قاعة الاجتماع، ولم تكن قد استعدنا لذلك لعدم معرفتنا ببروتوكول المؤتمرات، ولذلك فقد طلبنا من طلاب البعثة المصرية هناك تجهيز علم مصري يتعاقب فيه الهلال والصليب، وقد صنعوه أكبر حجماً من كل الأعلام الموجودة، فلما لفت نظرهم ذلك، قالوا: إن مصر أعرق الأمم ويجب أن يكون علمها أكبر الأعلام، وعندما قدمت العلم المصري لرئيسة المؤتمر، نقلت لها وجهة نظر أبنائها الطلبة، فتبسمت، ولما فتحنا أمامها العلم ورأت عليه الصليب يعاقب الهلال، تأثرت تأثراً عظيماً، وأمرت بوضعه على يسار المنصة معادلاً للعلم الإيطالي الذي كان إلى اليمين فشغل بذلك الموقع الممتاز بعد علم الدولة المنعقد المؤتمر بأرضها، وقدمتنا للمؤتمر تقديمًا فيه كل التقدير والإعجاب، وكان ذلك أكبر عامل في إزالة الفكرة التي شابته حركتنا الوطنية بوصفها بالتعصب الديني.

وما كنا نندمج في المؤتمر، حتى لمسنا عن كثب أثر المرأة الأوروبية في نهضة الغرب. ومن ناحية أخرى، فإن وفدنا رغم أنه كان أقل الوفود عددًا، إلا أنه أحدث تأثيراً كبيراً ولقي ترحيباً عظيماً؛ لأنه ظهر أمامهم بمظهر أرقى مما كان ينتظرون، فصرن يسألننا في فضول وإلحاح إن كنا حقاً مصريات وكلما أكدن لهن ذلك شاهدنا علامات الدهشة على وجوههن كأنما كانت المرأة المصرية المحببة مطبوعة في مخيلتهن بطابع الجهل والهجية، ولكن سرعان ما تغيرت تلك الفكرة في أذهانهم عندما رأينا نؤدي رسالتنا على الوجه الأكمل، تلك الرسالة التي رجبين بها وعضدناها ودعوننا للانخراط في سلك الإتحاد النسائي الدولي كفرع منه يمثل مصر، فإنه مبحث جمعيتنا منذ ذلك الحين في عضوية هذه الهيئة النسائية الدولية، وأصبح اتحاداً ذا صفة دولية وصفة قومية، معترفاً به في مصر والخارج، وقد أخذنا على أنفسنا عهداً أن نحذو حذو نساء أوروبا في النهوض بنسائنا لنصل ببلادنا إلى المكان اللائق بها بين الأمم الراقية مهما كلفنا ذلك، وأن نؤدي بأمانته وإخلاص الخدمات الاجتماعية والإنسانية التي يتطلبها برنامج

د

في شهر مارس ١٩٢٣، تلقينا دعوة من الإتحاد النسائي الدولي لحضور المؤتمر الذي يعقد في روما، وكانت الدعوة موجهة إلى نساء مصر، وكانت لجنة الوفد المركزية للسيدات المصريات هي إذ ذلك الهيئة النسائية البارزة، ومن ثم جاء تفكييري في تشكيل جمعية الإتحاد النسائي المصري من بين أعضاء لجنة الوفد. وقد انتدبت الجمعية عنها وفداً لحضور هذا المؤتمر مكوناً مني ومن زميلتي السيدة نبوية موسى والأنتسة سيزا نبراوي، وكانت هذه هي أول مرة يرتفع فيها صوت المرأة المصرية في الخارج باشتراكها في هذا المؤتمر.

د

وأستطيع أن أقول بصراحة إنه بالرغم من سروري بهذه الدعوة واعتباطي بالوصول إلى هذه النتيجة، فإنني قد سافرت منهية تلك المسؤولية الكبرى، خاصة مغبة الفشل.

ولكن بقي يقيننا بالله يقوي إيماننا بأننا نحمل رسالة المرأة المصرية التي عاشت إلى ذلك الحين مهضومة الحق مهبطة الجناح لا سيما أن هذه كانت فرصة نتيج لنا دحض الافتراءات التي أثيرت في الخارج حول حركتنا الوطنية وحاولت أن تنال من جلالها وعظمتها.

وقبل أن أتحدث عن مؤتمر روما، فإنني أود أن أعطي صورة عن تشكيل الإتحاد النسائي المصري، فبعد أن وصلنا الدعوة لهذا المؤتمر وجهت إلى بعض السيدات الرسالة التالية:

حزرة السيدة الفاضلة

بما أن مؤتمر النساء الدولي الذي سينعقد في روما بتاريخ ١٢ مايو ١٩٢٣ لغاية ١٩ منه قد أرسل دعوة لسيدات مصر، وبما أن من مصلحتنا نحن معشر السيدات المصريات ومن مصلحة قضيتنا المصرية أن نعمل لرفع شأن المرأة المصرية والمطالبة بما ينقصها من الحقوق، وجب علينا أن نؤد من يمثلنا في هذا المؤتمر للاندماج في عضويته ضمن بعض أعضائه للسعي في تحقيق هذا الغرض.

لذلك ننشر دعوة حضرتك للحضور يوم ١٦ مارس الجاري الساعة الرابعة مساءً بمنزلي بشارع قصر النيل نمرة ٢ بمصر للاشتراك في تأليف لجنة للعمل وانتخاب من يمثلها في المؤتمر. واقبلي وافر احترامنا هدى شعراوي

وكنتم قد أقيمت خطأ في المؤتمر النسائي الذي يمثل مصر، وقد يكون من الأفضل أن أسجل هنا هذا الخطاب لتتضح أبعاد الصورة أمام كل الأعين، وهذا هو نص خطابي في المؤتمر:

إنه ليسرني حقيقة أن أجد نفسي بينكن في هذه الجمعية المحترمة التي تمكنت فيها المرأة المصرية لأول مرة في التاريخ من المجيء والمناقشة في حقوقها، وإنني لأجد ما يدعو إلى الفخر والغبطة في اختياري لإظهار تلك الرابطة التي تربط بنات النيل بأخواتهن في أوروبا.

حقاً لقد مر عصر طويل كنا نعمل فيه بمعزل عن العالم أجمع خلاً أزواجنا وأقاربنا، فنشأ عن ذلك انزواء شخصيتنا وبقاؤنا وراء حجاب، على أننا إذا تأملنا في تاريخنا الغابر رأينا أنه في الوقت الذي كانت مصر فيه تشرق في سماء المجد ويتفجر نورها على البلدان، كانت المرأة المصرية تتمتع بحقوق الرجل نفسها. وقد حافظت على هذه الحقوق إلى اليوم الذي وقعت فيه مصر تحت نير الأجنبي، وأصاب المرأة ما أصاب نساء الشرق اللاتي ظلن ولا قانون يحمين من استبداد الرجل، وقد بقين في هذا الدرك حتى ظهر الإسلام الذي منح المرأة حقوقاً لم تحصل عليها من قبل، والتي تقاوت وستقاوت المرأة الغربية في سبيل الحصول عليها اليوم وغداً وبعد غد. وقد احتفظت المرأة حتى الساعة بهذه الحقوق التي يعترف بها القانون الديني، غير أنها لم تفكر في استعمالها بسبب الجهل الذي شبت فيه ودرجت أربعة قرون كاملة.

وما أفاقت مصر من سباتها العميق إلا في أوائل حكم محمد علي، ذلك المصلح الكبير الذي نهض بالبلاد، وأنشأ

الإتحاد النسائي الدولي، ورجعنا بحمد الله مرفوعات الروس، معتقدات أننا قد أدبنا خدمة جليلية لوطننا ولجنسنا بما قمنا به من دعاية طيبة وسط ذلك الجمع الحاشد من مندوبات الدول الست والثلاثين المشتركة في المؤتمر.

ولقد اندمجت جمعيتنا في الإتحاد النسائي الدولي على أساس المطالبة بحقوق المرأة السياسية والمدنية لتخويلها حق الانتخاب، وللعمل على نشر مبادئ السلام وتوطيد دعائمه، فأصبحت جهود المرأة المصرية عالمية لا محلية فقط، وهذا نصر كبير لبنات القرن العشرين في مصر.

لقد أخطأ الكثيرون فهم المبدأ الأساسي للإتحاد النسائي بشأن المطالبة بالمساواة في الحقوق السياسية للمرأة، فقد توهموا أن غرضها من الحصول على حريتها ومساواتها بالرجل في الحقوق هو الوصول إلى السفور ومزاحمة الرجل في مبادئ السياسة والعمل، مما أدى إلى تدمير بعض الرجال، والحقيقة أن المطالبة المرأة بحقوقها السياسية ليس معناه التدخل في الأمور السياسية والحزبية المحضة، بل للحصول على حقها في التشريع والتنفيذ حتى يمكنها المساهمة في علاج الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبخاصة ما كان منها متصلاً بشؤون المرأة والطفل، وكان سفورها من الوسائل اللازمة للحصول على هذا الحق لاحقاً في السفور كوسيلة للتبرج، ولا سيما إلى مزاحمة الرجل كما اتهمت بذلك زوراً وبهتاناً.

حقوق المرأة المصرية



المدارس التي فتحت بعضها أبوابها للنساء ولولا الاحتلال الأجنبي لما وقفت في سيرها هذه الجهود التي كانت تعمل على رفع مستوى المرأة العقلي، ولكن من المأمول اجتناء جمع ثمارها.

على أن مسألة التعليم الإجباري كانت موضوع المناقشة والبحث في عهد السلطان حسين، ولكن أولي الأمر قر رأيهم على تأجيل إصدار هذا القانون بصفة نهائية ثلاثين عاماً.

وقد حرمت الحكومة البنات ابتداء من سنة ١٩٠٩ من حق أداء امتحان البكالوريا، ثم حرمتهن من نيل شهادة الدراسة الابتدائية، ولهذا السبب فإن بناتنا اللاتي يتعلمن في مدارس الحكومة لا يسمح لهن أن يحترفن إلا إحدى المهنتين مهنة مدرسة ومهنة قابلة.

ولكن لا يجوز أن نغفل هذه الحقيقة الأخرى، وهي أن النقاب كان من أكبر العوامل التي أدت إلى بقاء المرأة في درجة من العلم لا متأخر عنها ولا متقدم، ذلك بأنه في سن معينة يحال دون زهاب الفتيات إلى معاهد التعليم، ورغماً من هذه العقبات تمكنت الكثيرات ممنهن من ارتشاف مناهل العلم الراقي وبلوغ مكانة أخواتهن الأوروبيات، وقد قصد بعضهن جامعاتكم لإتمام دراستهن.

وقد بدأت المرأة المصرية — بفضل تعلمها ومعرفتها حقوقها أكثر من قبل — تظهر الميل إلى الاستفادة من الامتيازات التي يخولها القانون إياها، وما نحن أولاء نراها اليوم تحتل مكانة هامة في الأسرة والمجتمع والحياة السياسية.

والآن، فلنخلص الحقوق والمطالب التي سنسبها غداً. أما فيما يتعلق بتعدد الزوجات الذي انتقده أهل الغرب انتقاداً مرّاً، فإني أظن أن القرآن الكريم بتحديد عدد النساء إلى أربع مطاع، ولكنه لا يوحى بهذه العادة التي كانت منتشرة عند قبائل العرب قبل الإسلام، فإنه يقول بالنص:

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ.

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ.

إذن يكون لها حق المطالبة بإلغاء هذه العادة التي توجد الشقاق في الأسر وتولد البغضاء بين الإخوة والأخوات من أمهات مختلفة، والرجوع إلى حكم الشريعة التي لا تبيح الانقسام والتفرقة.

وإننا ليسرنا أن نرى أن هذه العادة مع انتشار التعليم تتلاشى شيئاً فشيئاً؛ لأن شعور المرأة بكرامتها في الازدياد يأبى عليها أن تقبل حالة أخرى لزوجها، ولأن الرجل الذي يزداد حرصه على السعادة والطمأنينة في البيت لا يفكر اليوم مطلقاً في إدخال عوامل التفرقة من الباب.

أما الطلاق فإنه وإن كان الرجل هو الذي يلجأ إليه عادة، إلا أن المرأة في وسعها أن تتخذ سلاحاً تدافع به عن نفسها؛ لأن القانون لا يعترض على استعمالها هذا الحق. ويمكن للمرأة المصرية أن تحتفظ بأبنائها لغاية السابعة أو التاسعة من عمرهم.

وفيما يتعلق بالوراثة، فإن البنات لا حق لها إلا في نصف ميراث الأحم، ولكن يجب ألا يفوتنا أن مقتضيات الزواج أن يقوم الرجل بنفقات البيت أياً كانت ثروة زوجته والميراث ترث عن زوجها ربع ما يملك إذا لم يكن له ولد، والثمن في الحالة الأخرى، ولأبناء الذين يعترف بهم أبوهم عين حقوق الوراثة التي يتمتع بها الأبناء الشرعيون.

وقد أدخلت أخيراً بعض إصلاحات من شأنها تحسين حالة المرأة من جهة النفقة التي يطالب بها الزوج في حالة الانفصال. فإذا لم يدفع المبلغ الذي تراعي المحكمة في تعيينه مقدرته على الدفع، ألقي به في السجن، فالرجل يخشى الجزاء، والمرأة المهجورة تجد في القانون حماية لها.

وتتمتع المرأة المسلمة في الحياة المدنية بكفاءة كاملة؛ لأن القانون يكفل لها الاستقلال التام في التصرف في أملاكها متى بلغت سن الرشد، وفي إمكانها البيع والشراء والوصية دون وجوب الحصول على تصريح من زوجها بذلك، والاشتراك في أي عمل مالي أو تجاري بالتساوي مع الرجل، وعدا ذلك فإنها تستمد من قانون الإسلام حق الاحتفاظ بجنسيتها في حالة ما إذا تزوجت بأجنبي.

ولم تأخذ المرأة إلى الآن من الحياة العامة بنصيب من التنشيط، ومنشأ ذلك جهلها، ولكن بما أن القوانين لا تشمل على أي تقييد يتعلق بكفاءتها، فسيكون في وسعها متى شاعت أن تلمح إلى الوظائف العمومية وجميع المهن التي يحترفها الرجال والاشتراك في كافة



لتصبح مساوية للرجل إلا في التعلم والمطالبة بإصلاح بعض العوائد المتعلقة بالزواج والطلاق، فإن روح القانون فسرت بها خطأ.

وقد تألفت أخيراً في سبيل الوصول إلى هذه النتيجة، جمعية الإتحاد المصري النسائي، ورسمت لنفسها البرنامج الآتي:

(١) رفع مستوى المرأة الأدبي والخلقي لتحقيق المساواة السياسية والاجتماعية بالرجل من جهتي القوانين والأداب العامة.

(٢) المطالبة بمنح الطالبات حرية الالتحاق بالمدارس العالية.

(٣) إصلاح العوائد الجارية فيما يتعلق بطلب الزواج حتى يتيسر للطرفين أن يتعارفا قبل التعاقد.

(٤) الاجتهاد في إصلاح بعض طرق تطبيق القوانين الخاصة بالزواج التي يستمد تفسيرها من روح القرآن، ووقاية المرأة بهذه الطريقة من الظلم الذي يقع عليها من تعدد الزوجات الذي لا مبرر له، ومن الطلاق الذي ينطق به صاحبه غالباً من غير روية أو باعث جدي.

(٥) المطالبة بقانون يجعل سن الزواج عند البنات ١٦ سنة.

(٦) العمل على نشر الدعوة في سبيل الصحة العمومية.

(٧) تشجيع الفضيلة ومحاربة الرذيلة.

(٨) محاربة الخرافات وبعض العوائد التي لا تتفق مع العقل.

(٩) نشر الدعوة بمبادئ الجمعية بواسطة الصحافة. والآن قبل أن أنسحب، اسمحن لي أيتها السيدات أن أشكرن على إلحاحكن في إظهار الرغبة في إشراك المرأة المصرية في عمل الإتحاد العظيم.

ولنا الأمل الكبير أن نصل بفضل نصائحكن التي هي لنا الهادي والاحتذاء على مثلكن الذي نجد خيراً مشجع إلى تحقيق رغباتنا وبلوغ القصد.

وإننا نضع أنفسنا تحت تصرفكن لخدمة مبادئكن ونشر أفكاركن، أما والاتحاد قوة، فإننا نرجو من صميم القواد أن يتحقق في القريب العاجل، الغرض الذي نسعى إليه، أعني انتصار حقوق المرأة في العالم أجمع.

* عن كتاب مذكرات هدى شعراوي

الإدارة والكتابة في الجرائد وتأسيس المجلات، وأنشأت بمالها الخاص مدارس حرف للفقراء، وملاجئ للمرضى الفقراء، وكونت جمعيات علمية. يتبين مما تقدم أن المرأة المصرية التي تتمتع في المجتمع بامتيازات خاصة من وجهة القوانين، ليست بحاجة

الجمعيات. وقد ظهرت المرأة المصرية في صورتها الحقيقية في حركة سنة ١٩١٩ في الوقت الذي كانت فيه الأمة من أولها إلى آخرها بحاجة إلى قواها كلها للمطالبة باستقلالها. وشاركت المرأة الرجل في كفاحه السياسي بتدخلها في

حفيدة هدى شعراوي تكتب عن جدتها: مثقفة مستنيرة مقاتلة

فيصل درّاج

د

كانت دار الهلال في القاهرة أصدرت عام ١٩٨١: مذكرات رائدة المرأة العربية هدى شعراوي. وعادت دار التنوير بيروت - القاهرة - تونس - إلى إصدارها ثانية عام ٢٠١٣ بعناية هدى الصدة.

د

والسؤال الذي يطرحه القارئ: ما الذي يدفع بالحفيدة سنية شعراوي إلى إعادة نشر مذكرات جدتها (وكشفت عن وجهها، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠١٩، ٤٢٩ صفحة)؟ ترتبط الإجابة، بداية، باستكمال نشر المذكرات، ذلك أن السيدة المصرية الشهيرة توفيت عام ١٩٤٧، وأن آخر تاريخ تورده مذكراتها المنشورة هو عام ١٩٣٥، ما يترك عددا من السنوات والأوراق محجوبة وناقصة، تاليا، في المذكرات.

بيد أن مراجع ومقدم الكتاب طارق النعمان يورد سبباً إضافياً له علاقة بالترجمة، وبتقوِيل الرائدة ما لم تكله، أو التصرف بما قالته بشكل يلبي رغبات "الاستشراق" في زمن، أو أغراض "ما بعد الحداثة" في زمن آخر. ذلك أن المذكرات ظهرت مترجمة إلى الإنكليزية عام ١٩٨٦ بعنوان يُثير الفضول: "سنوات الحرّيم"، الذي يدرج الموضوع كله في تنميط قديم - جديد، يحذف الفعل التحرّري العاقل ويشد المرأة العربية، لزوماً، إلى "الحرّيم"، ذلك التصوّر الغربي الزائف، الذي يرى المرأة العربية يعيون "الف ليلة وليلة"، حيث الأسر والقهر والحجاب والنقاب، ولعل أيدولوجيا التنميط الكولونيالية التي تلتهم المرأة، كما المجتمع العربي، بعامّة، هي التي دفعت سنية شعراوي إلى إصدار كتابها الهام: "إسقاط النقاب: حياة هدى شعراوي، نسوية مصر الأولى" عام ٢٠١٢، والذي كتب بالإنكليزية وأخذ باللغة العربية عنواناً أكثر مواءمة: "وكشفت عن وجهها".

يتحدّث الأستاذ طارق النعمان، في تقديمه اللامع والطويل، عن "محاولات تنميطنا وقولبتنا في" المذكرات ظهرت مترجمة إلى الإنكليزية عام ١٩٨٦ بعنوان يُثير الفضول: "سنوات الحرّيم"، الذي يدرج الموضوع كله في تنميط قديم - جديد، يحذف الفعل التحرّري العاقل، ويشد المرأة العربية، لزوماً، إلى "الحرّيم" تنميطات وقوالب أبدية، بما يخدم السياسات الغربية تجاه العرب وتجاه الشرق بعامّة، ص ٢٢. ويشير أيضاً إلى "أفاق التوقع" لدى القارئ الغربي الذي يرى العالم العربي كما يريد أن يراه، أو كما توقّعه، كما لو كان "يخلق العرب" قبل أن يتعامل معهم. ولهذا فإن كلمة "الحرّيم" التي ترد أربع مرات في ٤٥٧ صفحة من طبعة دار الهلال، تتعدد وتتوسّع لدى المترجمة الأميركية مارجو بدران لتصبح خمسا وعشرين مرة. بل إن بإمكان الاختراع اللغوي "الأكاديمي" أن يُعيد تفسير النهضة العربية، في رموزها المختلفة، بما يجعل منها "تبعية للغرب"، كأن تكون هدى



بين ما تعيش، وهي التي تزوجت في سن مبكرة دون رغبة منها، وما يقترح الوعي الصحيح أن تعيشه، وانتبهت إلى وضع المرأة المقيد، وعطفت عليه وضع المجتمع، وصولاً إلى تكوين جمعيات وصحف ولقاءات ومؤتمرات... إلى أن أصبحت اسماً "عالمياً" في الدفاع عن حقوق المرأة، ولهذا كان تعرفها على فلسطين علاقة في تعرفها على الواقع المصري والعالمي، وفي اختلاطها بنساء أوروبيات وأميركيات، وصولاً إلى الهند.

ولعل انفتاح شعراوي الواسع على شخصيات غربية، موضوعها الأساسي "قضايا المرأة الجديدة"، هو الذي كان وراء نشر مقال طويل يشيد بالمستوطنات الصهيونيات في فلسطين في مجلة "ليجيسيان"، الناطقة بالفرنسية، التي أسستها هدى، وصردها الأول في شهر شباط/فبراير ١٩٢٥، وكتبت فيها نساء لا يعرفن عن الواقع الفلسطيني إلا القليل. غير أن متابعة ما يجري في العالم العربي، كما مناهضة الاحتلال الإنكليزي في مصر ومطالبتهما بإلغاء "الامتيازات الأجنبية"، لفتت سريعاً نظر هدى إلى "تدفق المهاجرين اليهود إلى فلسطين"، وما يمثله من خطر على أهلها.

وكانت من ضمن من ينقلون إلى هدى ما يجري في فلسطين المحامية الفلسطينية صابية جرزوزي، المقيدة في مصر، التي كانت تترك مخاطر الصهيونية وأفاقها. بعد إعجاب بريء بطاقة المستوطنين الصهاينة، أدرت السيدة شعراوي أن نشاطهم يندرج في مخطط صهيوني منظم، سينتهي إلى طرد عرب فلسطين، وبناء عليه أدرت أنه يجب على الاتحاد النسائي المصري منذ ١٩٢٥ أن يتخذ في كل المحافل الدولية موقفاً واضحاً مدافعاً عن قضية فلسطين. يذكر في هذا المجال أن المفكر المصري محمد حسين هيكل، صاحب "رواية زينب"، لم يعرف ينطوي كتاب سنية شعراوي على بعد معرفي، فقد كان متعاطفاً مع اليهود الداهيين إلى فلسطين في كتابه "مذكرات الشباب" عام ١٩٨٢. وواقع الأمر أن نشاط هدى في الاتحاد العالمي للمرأة، وكانت في قيادته،

كما علاقاتها بالمدافعات عن المرأة، كان مسكوناً بمفارقة موجعة، بسبب هيمنة الفكر الصهيوني في أوساطهن، ما فرض على كفاحها النسائي العالمي إعاقة مستمرة، على الرغم من صلابته الأخلاقية والتزام عروبي عميقين جعلها تتمسك، بلا مساومة، بالحق الفلسطيني.

بدأت "ليجيسيان" تغطي الأحداث الجارية في فلسطين بشكل مستمر، بعد أن أفضت طرب عبد الهادي، زوجة عمدة القدس، إلى هدى بما دار بين زوجها عوني عبد الهادي وديفيد بن غوريون، الذي قال له إن الهدف الصهيوني هو استخدام أربعة ملايين يهودي إلى فلسطين، ما يستدعي ترحيل أهل فلسطين إلى الخارج. لذا طالبت هدى، في مؤتمر التحالف الدولي للنساء الذي عقد في مرسيليا عام ١٩٢٣، بإيقاف الهجرة اليهودية، ولم تعثر على أذان صاغية، دون أن يعوق ذلك مثابرتها في الدفاع عن فلسطين.

يتجلى تاريخ هدى شعراوي الكفاحي، كما كتبتة حفيدتها، في مبادراتها الوطنية داخل مصر، وفي اهتمامها المستمر بالقضية الفلسطينية، وأية ذلك بيان لجنة المرأة العربية في حزيران/يونيو ١٩٢٦، الذي نشرته مجلتها، وقد صيغ بشكل نداء موجه إلى النساء البريطانيات، إضافة إلى جمع الأموال وإرسال برقية إلى وزير شؤون المستعمرات البريطانية، وإلى رئيس مجلس "تكتشف شخصية هدى الشعراوي، في مسارها الكفاحي الطويل، عن مثقفة أخلاقية من طراز رفيع، ووطنية مصرية نموذجية، دافعت عن التعليم وحقوق المرأة في التعليم والاستشارة العموم، وصولاً إلى نداء موجه إلى كافة نساء العالم، وإلى اتحاد البرلمانات العالمي.

عاد، وبعد هذا كله، وأطلقت نداء إلى بلاد الشرق الأوسط لمساعدة فلسطين، نشرته في مجلتها "ليجيسيان" في أيار/مايو ١٩٢٨، جاء فيه "حين ثارت مصر كان عليها الدفاع عن استقلالها في مواجهة مغتصب واحد، في حين تدافع فلسطين المكتوبة عن حياتها في مواجهة عدوين اثنين شرسين حشداً القوى لإبادة أطفالها والحلول مكانهم. ص ٣٥٣. أمنت هدى بأن دور النساء الدفاع عن السلام، وأن اليهود غير الصهاينة سوف يقفون إلى جانب الفلسطينيين حين يتعرفون على وضعهم، وأن على المرأة العربية الواعية أن تكشف حقيقة ما يجري في فلسطين، وأن الالتزام بهذه الحقيقة واجب فوق الاعتبارات جميعاً، ما دفعها إلى أن تستقبل من اللجنة التنفيذية "للتحالف الدولي للنساء"، الذي كانت تهيمن عليه الصهيونية، وأن تتنحى عن منصبها كاتبة لرئيسه.

لا ضرورة لتابعة كفاح هذه المصرية المحببة من أجل فلسطين، حتى يوم وفاتها في السابع من كانون الأول/ديسمبر (ديسمبر) من عام ١٩٤٧، إذ أن وضعها لن يكون مختلفاً عن موقف الوفدي القديم والوطني البارز النقراشي باشا، الذي استمع إلى قرار تقسيم فلسطين في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٤٧، وكانت الدموع تنهمر على وجهه، إذ لم يستطع أن يخفي إحباطه وقنوطه الصامتين. ص ٣٩٥.

تكتشف شخصية هدى الشعراوي، في مسارها الكفاحي الطويل، عن مثقفة أخلاقية من طراز رفيع، ووطنية مصرية نموذجية، دافعت عن التعليم وحقوق المرأة في التعليم والاستشارة، وقالت بضرورة إصلاح الحياة السياسية ومحاربة الفساد ولعبت دوراً سياسياً بارزاً، إبان وجودها في حزب الوفد وبعد خروجها منه، والتزمت بالحق الفلسطيني المنهوب حتى الرمق الأخير. وإذا كان طه حسين أعلن عن حالة فريدة في الثقافة العربية المعاصرة، فإن هدى شعراوي قدمت صورة نادرة لإمرأة عربية مستنيرة مقاتلة.

وأخيراً ينطوي كتاب سنية شعراوي على بعد معرفي، يضيء تاريخ مصر، وبعد قيمي أخلاقي رفيع، آيته هدى شعراوي، التي دافعت عن حرية الإنسان في كل مكان.

عن صحيفة الأندبندنت عربية

هدى شعراوي.. القوة تغنى والحق يبقى

سناء أمين



في مذكراتها التي صدرت بعد رحيلها بثلاثة عقود، تصف هدى شعراوي أول أدوار النساء المصريات في الحياة العامة خلال الإضراب العام الذي شهدته البلاد بعد انطلاق ثورة ١٩١٩، فتكتب "كانت النساء اللاتي تولين الوقوف أمام الدواوين لمنع الموظفين من الدخول، ينتزعن أساورهن وحليهن، ويقدمهن لهم قائلات: إذا كان أحدكم في احتياج لمرتبه، فليأخذ هذه الحلي، ولا تسودوا وجوهنا بالرجوع إلى أعمالكم بعد صدور الإنذار البريطاني".

تعكس المذكرات آراء وتحليلات الناشطة النسوية والكاتبة المصرية (١٨٧٩ - ١٩٤٧) التي تحل اليوم الثلاثاء ذكرى ميلادها، حيث تضع ملاحظاتها ومراجعاتها النقدية للأحداث التي قادت إلى انتخابها رئيسة لجنة حزب الوفد المركزية، التي ساهمت في تعزيز موقف الحركة الوطنية داخل المجتمع، وأثمرت بعد عامين عن تأسيس الاتحاد النسائي المصري الذي ترأسته أيضاً، وشارك بقوة في العمل السياسي والاجتماعي والحقوقى.

برزت شعراوي في تلك المرحلة التي سادتها الاحتجاجات كخطيبة مفوهة ناطقة باسم الناشطات السياسيات، وممثلة لهن بالتفاوض في شأن منح المرأة المصرية حقوقها الكاملة في المواطنة لاحقاً، وكذلك صاغت مطالبهن كجزء من الحراك الوطني في رسائل ومخاطبات صيغت بلغة قوية وأسلوب مؤثر، منها واحدة بعثت بها إلى المارشال إدوموند ألنبي في ٢٥ كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٢١.

تقول في رسالتها له رداً على نفي سعد زغلول إلى جزيرة السيشيل: "إذا كنت يا صاحب الفخامة تعتقد في نفسك القدرة على خلق صوت الأمة المصرية بإبعاد الرجل الذي عهدت إليه بأن يتكلم باسمها، فأرجع عن هذا الاعتقاد أيضاً، إذ إن القوة تغنى والحق يبقى!... وسوف نواصل احتجاجنا بلا انقطاع على التدابير الجائرة الظالمة التي تتخذها فخامتكم ضدنا، وهي تدابير لن تؤدي إلا إلى إثارة غضب الشعب وغضب الله!".

أتى انخراط شعراوي في السياسة بعد نحو ربع قرن من نشاطها الاجتماعي واهتمامها بالثقافة والأدب، إذ شاركت في تأسيس مركز صحي يقدم خدماته لعلاج أطفال الفقراء مجاناً، كما أنشأت "اتحاد المرأة الجديدة"، ونادياً أدبياً عرف بـ "جمعية الرقي الأدبي للسيدات"، وهدفت الهيئتان إلى دعم النساء بحصولهن على التعليم المدرسي، وتعلم حرف ومهن شعبية أيضاً، وتنظيم محاضرات في العلوم والفنون والآداب.

أمّنت شعراوي بأهمية بروز جيل من النساء قادر على التعبير عن همومه وانشغالاته وأماله، والسعي نحو التغيير، لذلك قدمت دعماً للعديد من الناشطات اللواتي حققن حضوراً واسعاً في الثقافة والصحافة والعمل العام أيضاً، مثل أمينة السعيد التي تولت رئاسة تحرير مجلة "حواء" خلال الخمسينيات التي حظيت بانتشار كبير، وكذلك سيزا نبراوي التي أسست معها مجلة "المصرية" الناطقة بالفرنسية عام ١٩٢٥، حيث تسلمت الأخيرة رئاسة تحريرها.

• عن العربي الجديد



manarat

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير

عزى ريم

علي

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

"وكشفت وجهها" ... قراءة جديدة لسيرة حياة هدى شعراوي

رشا أحمد

د

قراءة جديدة في حياة هدى شعراوي، يقدمها كتاب "وكشفت وجهها" الصادر حديثاً عن المركز القومي للترجمة بالقاهرة، ويلقي الضوء على وقائع مهمة في مسيرة أول ناشطة نسائية بارزة في مصر والعالم العربي، ثارت على نظام "الحريم" وتمردت على غطاء الوجه، وقادت مظاهرات النساء في أثناء ثورة ١٩١٩ ضد الاحتلال الإنجليزي، واحتفى بها مؤشر البحث العالمي "غوغل" في ذكرى ميلادها في يونيو (حزيران) ٢٠٢٠.

د



المصري. كانت البداية حين جاءت دعوة جديدة من منظمة "التحالف النسائي الدولي لتساوي الحقوق في التصويت" في فبراير (شباط) ١٩٢٣ لحضور المؤتمر التاسع للمنظمة المنعقد في روما وكان من المقرر إقامته فيما بين ١٢ و١٩ مايو (أيار)، وعلى رأس جدول أعماله بحث مسألة انضمام الحركة المصرية. كتبت هدى إلى رئيس الوزراء محمد توفيق نسيم باشا، تطلب رسماً للتصريح بسفر وفد نسائي للمشاركة كممثلات لمصر، وكان رده أنه سوف يبارك الطلب فور أن يتم تأسيس منظمة. وفي ١٦ مارس (آذار) دعت هدى زميلاتها في لجنة "الوفد المركزية للسيدات، ومبرة محمد علي، وجمعية المرأة الجديدة، إلى الاجتماع لتأسيس اللجنة الدائمة للمرأة المصرية إطاراً لإنشاء منظمة نسائية سوف تعرف باسم "الاتحاد النسائي المصري". تم انتخاب هدى رئيسية، وشريفة رياض نائبة لها، وأعطى رئيس الوزراء الجديد يحيى إبراهيم باشا الذي تولى المنصب في ١٥ مارس تصريحه وموافقته على أن تذهب لروما بصحبة سيزا نبراي ونبوية موسى اللتين تتميزان بطلاقة تعبير من بين زميلاتها، وكتاهما غير متزوجة وبالتالي لم تكونا بحاجة لتصريح شخصي بالسفر. شاركت في المؤتمر قرابة ألفي سيدة، وحضر بنيتو موسوليني رئيس وزراء إيطاليا آنذاك، الجلسة الافتتاحية، مع ثلاثة من الوزراء، وأجلست كاري تشايمان، رئيسة المؤتمر، هدى على يمينها فوق المنصة وقدمتها إلى الوفود الأخرى في كلمتها كرئيسة وقالت: "إنها تسعدنا أيما سعادة أن ترحب بوافدة جديدة هي رئيسة وفد مصر، ذلك البلد المعروف بحضارته وتاريخه المجيد"، ولقيت الوفود المصرية الثلاث ترحيباً حاراً، ووجهت لهن أسئلة عن العلم ذي الهلال والصليب الذي صممنه وشرحن رمزية الشكل التي تعبر عن وحدة الأقباط والمسلمين. وفي الأربعينات حتى اللحظة الأخيرة في حياتها، يخرج نضال هدى شعراوي من الإطار المصري إلى الفضاء العربي؛ حيث قادت حملات مكثفة لدعم الأنشطة النسائية في الصحة والتعليم والاقتصاد بلبنان وسوريا وفلسطين والأردن. وفي عام ١٩٤٢ يقلدها الملك فاروق وسام الكمال، أعلى القادلات المصرية، ثم تحصل على القلادة الذهبية الفخرية من الدرجة الأولى من الرئيس اللبناني بشارة الخوري، وشاح الجدارة من الرئيس السوري شكري القوتلي.

عن الشرق الاوسط

يمكن الاعتماد عليها. واقترحت هدى في ١٩٠٨ تأسيس جمعية خيرية لإقامة عيادة تمولها وتشرّف على إدارتها سيدات مصريات تحت رعاية الأميرة. وحصلت سريعاً على الدعم، وجرى الاجتماع الأول لمناقشة المشروع في قصر الأميرة بشوارع الدواوين وتم اختيار لجنة تأسيسية برئاسة الأميرة "نازلي حليم" والأميرة "عين الحياة" كأمينة صندوق، وقامت الفرنسية "مدام بوكيه" بوضع خبرتها الإدارية والعملية في خدمة المجموعة وقدمت كل من السيدات اللاتي حضرن الاجتماع إسهاماً مالياً سنوياً قدره ٥٠ جنيهًا مصرياً، في حين وعدت الأميرة "أمينة" أرملة الخديو توفيق وأم الخديو عباس حلمي بمنح ١٢٠ جنيهًا، كما حظي المشروع بدعم الخديو عباس حلمي وقرينته.

فطنت هدى شعراوي مبكراً للخطاب الاستعماري الذي يمثله اللورد كرومر، المندوب السامي البريطاني وممثل سلطة الاحتلال، حين حاول استخدام الدين كورقة لتحقيق مآربه، فقد كان يناهض مطالب المرأة الإنجليزية بحق التصويت بل كان عضواً مؤسساً وأحياناً أخرى رئيساً لرابطة الرجال المناهضين لحق تصويت النساء، وفي الوقت ذاته يُدين موقف الإسلام من المرأة، وهو ما تصدت له هدى شعراوي في العديد من خطبها النسائية.

ورفضت كذلك الدعوة المثيرة حول تعديل ميراث المرأة، حيث تقول صراحة: "وإن كان لا بد من إبداء رأيي في هذا الموضوع فأقول بصفتي الشخصية إنني لست من الموافقين على رأي البعض فيما يتعلق بتعديل نصيب المرأة في الميراث ولا أظن أن النهضة النسوية في هذه البلاد لتأثرها بالحركة النسوية بأوروبا يجب أن تتبعها في كل مظهر من مظاهرها وذلك لأن لكل بلد تشريعه وتقاليدَه وليس كل ما يصلح في بعضها يصلح للآخر".

ويشير الكتاب إلى عشرات المواقف التي تجلّت فيها وطنية هدى شعراوي، من أبرزها مواجهة موقف زوجها الجديد بكل حسم وثبات ورفضها الإنعان أو الاستجابة لإرادته حين حاول أن يحصل بينها وبين "نداء الوطن"، وأن تشارك في المظاهرة التي نظمتها هي وزميلاتها من النساء والفتيات في لجنة حزب "الوفد" المركزية للنساء ضد الإنجليز إبان ثورة ١٩١٩.

جاء تأسيس الاتحاد النسائي المصري في ١٩٢٣ معلماً بارزاً في مسيرة هدى شعراوي وفي التاريخ

العمر ٥٥ عاماً، يحمل لقب باشا، كان شديد الثراء وذا أملاك شاسعة، ويتمتع بنفوذ سياسي قوي، أطلق عليه المصريون "ملك الصعيد"، ترأس مجلس النواب المصري الأول في عهد الخديو توفيق، ومنحته بريطانيا بعد الاحتلال عدة نياشين مقابل خدماته. وسميت عند مولدها "نور الهدى سلطان"، أما إقبال، والدتها، فشركية الأصل لعائلة من قبيلة الشتبيغ بالقوقاز، فكانت على مشارف العشرين عند مولد هدى.

تلقت هدى شعراوي تعليمها في المنزل، وتزوجت مبكراً على مشارف الثالثة عشرة من ابن عمها "علي الشعراوي" وكان مهندساً معمارياً مرموقاً شارك في بناء الأوبرا، ويكبرها بما يقارب الأربعين عاماً، وغيرت لقبها بعد الزواج من نور الهدى سلطان إلى هدى "شعراوي"، تقليداً للغرب، وكان أحد شروط عقد زواجها أن يطلق زوجته الأولى، لكنه خدعها ولم يفعل. كان زوجها وصياً عليها بعد وفاة والدها، واجتهد بدأب على حماية مصالحها وكان وطنياً شجاعاً. ورغم صفاته الحميدة فقد حال فارق السن بينهما دون نجاح الزواج.

شعرت هدى منذ صغرها بالغضب من الكيفية التي تمحى بها البنات في قصص الحريم كما لو كنّ أشباحاً، لا وجود مرئي لهن ولا صوت مسموع. كنّ خاضعات لقواعد صارمة من التحفظ والطاعة، وسعت من البداية إلى أن تتخذ نمط المرأة القوية نموذجاً لها.

وكان أخوالها قد ذكروا لها أن المرأة في المجتمع الشركسي لا تعامل فقط بوقار وإنما أيضاً بإجلال بل إنه يمكنها حتى محاكاة الرجل.

في عام ١٩٠١ كانت هدى في الثانية والعشرين وقد مر على انفصالها عن زوجها أكثر من سبع سنوات، حيث غدت شابة جميلة مكملة النضج، تزوجت وأنجبت بنتاً سمّتها "بثينة" وابناً سمّته "محمد". وكانت على دراية واسعة بالثقافة الشرقية والقضايا الأكاديمية الغربية، كما درست علوم القرآن والعلوم الدينية. وقرأت كثيراً في التاريخ والأدب الفرنسي والعربي. وعلى الصعيد الثقافي تطورت في تعلم الموسيقى وأصبحت عازفة بيانو بارعة.

تروي حفيدتها أن جدتها كانت عازمة على أن تكون لها حياتها الخاصة بها، وكانت على صلة متميزة بالأميرة "عين الحياة" أحمد رغم فارق السن الكبير بينهما، وكانت الأميرة دائمة التشجيع لها وتعدّها "مصلحة اجتماعية راسخة القناعات" وصديقة شابة

الكتاب من تأليف حفيدتها سنية شعراوي، كتبتة بالإنجليزية وصدر حديثاً عن المركز القومي للترجمة في القاهرة. وكانت شعراوي في أواخر أيامها قد أمّلت مذكراتها على سكرتيرها الخاص عبد الحميد فهمي، وبعد وفاتها في ١٩٤٧ ظلت المذكرات حبيسة الأدرج أكثر من ثلاثة عقود إلى أن نشرتها "دار الهلال" بتقديم الكاتبة الصحافية أمينة السعيد في سبتمبر (أيلول) ١٩٨١.

ترجمت الكاتبة مارجو بدران أجزاء من هذه المذكرات إلى الإنجليزية ونشرتها بعنوان "سنوات الحريم" عام ١٩٨٦ في نيويورك، ثم نشرت الجامعة الأميركية في القاهرة طبعة أخرى لها عام ١٩٩٨. بعدها قامت الحفيدة سنية شعراوي باستئناف سردية جدتها، وأعدت تقديم المذكرات باللغة الإنجليزية بعنوان "إسقاط النقاب: حياة هدى شعراوي، نسوية مصر الأولى"، وهو العنوان الذي قامت المترجمة نشوى الأزهرى بتحويله قليلاً في هذا الكتاب ليصبح "وكشفت وجهها".

الدكتور طارق النعمان الذي قام بمراجعة الكتاب، يصف العنوان الأخير بأنه "أكثر جاذبية وشعرية من العنوان الأصلي"، موضحاً أن الكاتبة المصرية التي كتبت بالإنجليزية مارجو بدران كانت تحاول إعادة إنتاج الصور النمطية السائدة عند المرأة العربية والشرقية في المخيلة الغربية بداية من العنوان "سنوات الحريم" الذي أقل ما يقال عنه إنه يوافق تخيلات الصورة النمطية المقترنة بالمرأة الشرقية، فهو عنوان يمتلك قوته التسويقية الذاتية والخاصة به في السوق الغربية، كما كانت انتقائية إلى حد بعيد في اختياراتها للأجزاء التي قامت بترجمتها من مذكرات شعراوي، حيث حذفّت على سبيل المثال ما يتعلق بنقد شعراوي للغرب كما حذفّت ما يشير إلى علاقتها الجيدة بأبيها وجدتها لتوحي بأنها كانت ضحية مجتمع ذكوري!

ولدت هدى شعراوي في ٣ يونيو ١٨٧٩ لأب مصري اسمه محمد سلطان الشعراوي من المنيا يبلغ من